الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

**محمد سيد حاج**

رحمه الله

خطبة جمعة

# عندي مشكلة أريد حلها

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله الذي خلق الكائنات، وتفضل علينا بجوده والرحمات، هو الذي أرسل رسوله بالهدى والبينات، أنزل التوراة والإنجيل والزبور وأتمها بالآيات، علّام الخفيات قاضي الحاجات، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات، مجيب الدعوات فالق الإصباح ومبدد الظلمات، والنظر إلى وجهه الكريم نهاية الغايات، يسمع دبيب النمل وخافي الهمسات، لا تختلط عليه اللغات، يسمع ضجيج الأصوات على اختلاف اللهجات، وتعدد العبارات على تفنن الحاجات، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل. اللهم ربنا إن ألسنتنا سبحت لك في علاك، أنت ترانا ولا نراك، فلا نعبد إلا إياك. يا من أجبت دعاء نوح فانتصر، وحملته في فلكك المشحون، يا من أحال النار حول خليله روحًا وريحانًا بقولك كوني، يا من أمرت الحوت يلفظ يونس وسترته بشجيرة اليقطين، يا رب أنا مثله في كربة. والصلاة والسلام على عبد الله المصطفى، وعلى نبي الله المجتبى، وعلى رسول الله المرتضى، وعلى آله وأصحابه ومن به مهتدى.

عباد الله، كثيرًا ما تدلهم بنا ظلمات النفوس، وتضطرب بنا سكينة القلوب، وتضيق علينا أحيانًا الدنيا بما رحبت لأدنى همٍّ أو مشكلة تطرق حياتنا، فيضعف اليقين ويضعف التوكل وتهتز قواعد الإيمان في نفوس الناس. وما منا إلا وله مقام معلوم من الهم والغم، من المصائب والمشكلات. أراد الله أن يقيم الحياة على المتناقضات: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾، ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾، ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾.

أراد الله الحياة هكذا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، حتى تشتاق النفوس وتسمو الأرواح وتتطلع الأفئدة، فتطلب مطلوبًا أسمى، وتريد دارًا أكرم، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾، دار خالية من المنقصات والمكدرات.

الأمراض والأسقام، الأوجاع والمشكلات، الهموم والغموم، الديون وتسلط الآخرين، غلبة الدين وقهر الرجال. أراد الله الدنيا هكذا، وما منا إلا وله نصيب من مشكلة، أبوابها كثيرة وأسبابها متنوعة: المرض والهم والغم، والجوع والحرمان والفقر، والمشكلات الأسرية: كثرة العقوق والنشوز والقطيعة بين الأرحام. إنها مشاكل تضج بها الحياة.

وعنوان هذه الخطبة: عندي مشكلة أريد حلًّا. إن المشاكل للمؤمن قواعد، منهجية صحيحة يستطيع أن يتعامل معها. لا أزعم أن أعطيك حلًّا سحريًّا تخرج من المسجد فتنتهي المشاكل: الديون المتراكمة، أو الأطفال والأبناء، أو عجز الأبناء عن الرسوم، أو حسد الحاسدين وكيد الكائدين، كل المشاكل التي تملأ حياتنا، لا أزعم أني أعطيك حلًّا سحريًّا، ولكني أعطيك منهجًا تستطيع من خلال هذا المنهج أن تتعامل مع المشاكل، فتواجهها بقلب صلب وبشخصية فذة. تستطيع من خلال إيمانك ومن خلال قواعدك الشرعية، مع الأخذ بالأسباب المادية، أن تحل هذه المشاكل، ليس حلًّا كليًّا ولكن حلًّا في دواخلك تنسجم مع الحياة، لما تعرف مقصود ربك جل جلاله، لماذا خلقك.

إن المشاكل تعكر صفو حياتنا، وتكدر جمال عيشنا، وتقطع حبال صبرنا، والسبب لذلك أنا نعطي الحياة مساحة في وجداننا وفي نفوسنا أكبر مما ينبغي، فإذا فقدناها تكدرنا وتألمنا وأصابنا من الهم والغم ما أصابنا. واعلم لماذا تعيش، وامتلك الأسلوب الصحيح، وامتلك المنهج العلمي القويم في التعامل مع المشكلات، وبذلك سوف تستطيع أن تواجه كل مشكلة، وتحال المحن إلى منح، والنقم إلى نعم، بمنهج تمتلكه.

وأولى هذه القواعد، القاعدة الأولى: مواجهة المشكلة، اعترافًا بها، وتحليل المشكلة إلى مفرداتها الأولية. أين الخلل في حياتك؟ أين الخلل في مفردات تعاملك؟ أين الخلل في أنماط حركتك؟ إن خللًا ما، وسوف يكون الخلل ضعفًا في الإيمان وقطعًا لصلة وثيقة ينبغي أن تكون مع قيوم السماوات والأرضين ورب الخلائق أجمعين.

القلوب شاردة، في عصر الفضائيات والعولمة والماديات والإلكترونيات، وحتى النمط الموجود في بيوتنا لا يخلو في ديكوره وترتيبه من نمط غربي. حتى الذي يصلي الصلوات في المسجد ويحرص على السنة ويقرأ القرآن لا تخلو حياتنا من طغيان المادة والمحسوسات والإيمان بالمشاهدات القطعية في حياتنا، فيضعف اليقين ويقل التوكل وتتزعزع الثقة في الله عز وجل، ويتضعضع الخوف واليقين من الله عز وجل. إما خلل في أداء الصلوات في وقتها، أو أدائها في بيوت الله، أو خلل في تعاملك مع الوالدين أو الأقربين، أو بسوء خلق تشقى به. ولذلك واجه المشكلة وحدد هذه المشكلة وحللها إلى عناصرها الأولية، ثم بعد ذلك ينبغي أن تعترف بهذه المشكلة، وأن تلجأ إلى الله جل جلاله، الباب المفتوح الذي لا يغلق، ولا يقف عنده وينزل حوائجه ببابه إلا القليل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

إن الأنبياء كانوا يقولون: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾، وأيوب: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، وذلك لأن يقينه أن الفرج قريب. ونحن لا ندعو الله، إما لضعف ثقتنا في الله، أنه لا يقدر أو أنه يقدر ولا يعطي، وكلا ذلك كفر، أو عدم ثقة في أنفسنا بعدم إحسان الظن بربنا. فأما إذا لم تدع الله عند كل مشكلة وتلجأ إليه عند كل مصيبة، بل في كل ساعة ولحظة في كل دقيقة ونفس، إن لم تلجأ إلى ربك وخالقك هذا يعني أنك تظن: لماذا ندعوه؟ ولكننا دعوناه كثيرًا فلم يعطنا، إذًا الخلل في تفكيرنا، الخلل في دواخلنا. «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل». قالوا: كيف يعجل يا رسول الله؟ قال: «يقول: دعوت، دعوت، فلم أر يستجب لي، فيستحسر ويدع الدعاء».

ولذلك الدعاء سلاح عظيم، غفلنا عنه حتى على مستوى مشكلات العالم الإسلامي في فلسطين، قل الذي يدعو. أنا لا أريد ولا أتحدث عن الدعاء العام الذي يضج به الناس، دعاؤنا في سجودنا، ودعاء خاصة كل منا لإخواننا في فلسطين. لا نذكرهم إلا إذا دعا الداعون فنؤمن مع المؤمنين، أما أن تدعو في كل لحظة وفي أوقات السحر وفي ساعات وأوقات تحري الإجابة، أن تدعو للمسلمين في العراق أو في فلسطين أو في الشيشان أو في أفغانستان أو في أي بقعة، هذا قليل. هذا يعني أننا لا نذكر قضايا أمتنا إلا إذا كنا في عقل جمعي، أي مع مجموعة، أما لوحدنا فقليل هو الذي يسأل الله ويلجأ إلى الله دون أن يسمع بذلك أحد أو أن يعرف أحد. أيها الأحبة، إن الدعاء سلاح عظيم، ومن تعلق بالله كفاه، ومن سأل الله ومن أنزل حوائجه بالله تولاه، ولكن أين الثقة؟ أين اليقين؟

ألف التنوخي رحمه الله كتابه الشهير في ثلاث مجلدات، الفرج بعد الشدة، يحدث عن من ضاقت بهم السبل وانقطعت بهم الأسباب وأوصدت في وجوههم الأبواب، أبواب السلاطين والحكام والوزير والرئيس والمدير، أغلقت الأبواب، فلجأوا إلى الله الذي لم يرد سؤالهم، والذي تقبل منهم، والذي أعطاهم، فإنه سبحانه هو القادر على ذلك.

ومن جملة من حكى عن الأنبياء والرسل، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحلك المواقف: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، ليكون سلوكًا للناس ودربًا وسبيلًا، كل من ضاقت به السبل وكل من وقفت أمامه مشكلة. ولكن اسمحوا لي أن أقول: نحن نتصل بالله نرفع أكف الضراعة إلى الله، ولكن دوائرنا، عقولنا شاردة وقلوبنا ليست مع الله، وألسنتنا تقول كلامًا وبذات الألسنة نكذب وننافق، الدوائر مشغولة، ولذلك لن تأتي الإجابة. إن أردت الاتصال فاتصل الاتصال السريع: القلب الصادق، واللسان الذاكر، والنفس المنكسرة.

شقيق البلخي رحمه الله، قال عنه التنوخي: كان عالمًا يدرس الناس، ويحضر حلقته احتفاءً به الملوك والأمراء والوزراء والتجار والعلماء، كلهم يحضرون درسه. قال: وبعد الدرس قال له كبير التجار: يا شقيق، إذا عرضت إليك حاجة فلا تسأل الناس، ومالي لك، خذ ما تريد واترك ما تريد، واعلم أن ما أخذت أحب إليّ مما أبقيت. قال شقيق: فشكرته، ولكن نفسي لم تحدثني مجرد حديث أن أذهب إليه وأطرق بابه.

قال: وبعد شهور جعنا ونزلت بنا فاقة، ثلاثة أيام، هو وصغاره لا يصيبون طعامًا إلا طعامًا يابسًا، أو خبزًا جافًّا يجدون بقاياه فيأكلون في اليوم أكلة. فلما ضاقت السبل في اليوم الثالث قالت له بنية له صغيرة: يا أبتي، ألا ترى ما بنا؟ لقد قتلنا الجوع. وقد يكون الرجل أمام نفسه قوي ولكن أمام إخوانه أو عشيرته ضعيف. وهذا الذي جعل العلماء يقولون: صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب أبي طالب أجلّ صبرًا من صبر يوسف في السجن، لأن يوسف كان امتحانه في نفسه، أما رسول الله في الشعب كان صبره في نفسه وأمام عشيرته الذين يتضورون أمامه جوعًا، وهذا صعب.

كثير من الناس في الزنزانة يثبت ويجلد في ظهره فيصمت، فإذا أتي بزوجه أمامه، أو أخبر أن والده اعتقل، أو أن أخاه قد فعل به، أو أن ولده قد عذب انهار. ألا ترى الفرق؟ يوسف لم يكن شيء يخاف عليه في السجن، هو يصمد لأن الصمود صمود شخصي، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين صموده وبين لوعة

عاطفته، أمام هؤلاء العشيرة الذين يعذبون بغير جريرة ويحاصرون ويحبسون بغير ذنب من أجله هو. ولذلك: يا أبتي، قتلنا الجوع. هنا اهتز شقيق البلخي، قال: أول ما ذكرت ذكرت أخي التاجر، قلت: اليوم أمتحنه. قال: فقصدته، وفي طريقي مررت بمسجد، قال: فذكرت قول شيخنا أبي جعفر: إذا عرضت إليك حاجة إلى مخلوق فابدأ بالخالق. أبو جعفر المقرئ شيخ شقيق أعطاه قاعدة قاعدة إيمانية متينة: إذا عرضت إليك حاجة إلى مخلوق فابدأ بالخالق. عندك ورقة تريد أن تمضيها عند وزير، ارفع يديك إلى من قلب الوزير في يده، من كل دواب الدنيا هو آخذ بناصيتها، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

ثم قال: فتوضأت ودخلت المسجد في غير وقت صلاة، صليت. قال: فغلبني النعاس كأنما أفرغ عليّ النوم من أفواه القرب. قال شقيق: فنمت وأنا لا أريد أن أنام، رجل مكروب، هذا الكرب العظيم كيف ينام؟ قال: فجاءني في نومي من يقول لي: يا شقيق، أتدل العباد على الله وتنساه؟ قال: فقمت فزعًا. ثم انتظرت الصلاة المكتوبة فصليت ورجعت إلى البيت، فلما وصلت الدار وجدت في البيت مؤنًا: الزيت والسكر والدقيق. قال شقيق: فسألت أهل الدار: من أين هذه المؤن؟ فأخبرت أن ذات التاجر الذي كنت أقصده قد حركه الله من ورائي، سبحان الله، لما أراد له الله الفرج أراده بذات التاجر الذي كان يقصده، فجاء الدار وسأل عني وقال: قولوا لشقيق تأخرت عنا فأتيناك، ثم ذهب. وفرج أيوب بعد طول المرض كان تحت قدميه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾، ليس في صيدلية بعيدة ولا عند طبيب نائم ولا سفر إلى الأردن، كان من تحت قدمه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾. هكذا فرج الله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، الفرج قريب، والإنسان يضج.

ثم إن من أقوى القواعد المتينة في التعامل مع المشكلات، في التصدي والجرأة والاعتراف واللجوء إلى الله: كسر الجوانب السلبية. اسمع إلى قول القائلين في سوداننا: إذا كثرت عليك الهموم، قالوا: ادمدم نوم. ما هذه السلبية؟ أولم يكن أفضل أن يقال: إذا كثرت عليك الهموم فالجأ إلى الحي القيوم؟ أوليس هذا أهدى سبيلًا وأقوم طريقًا؟ وأهدى، وأهدى صوابًا؟ إذا كثرت عليك الهموم، ادمدم نومك، ما في حل بس خلاص كده تقف عاجز، لا تفكر في حل ولا تسعى إلى حل.

وإن من القواعد المهمة التسلي بقدر الله عز وجل والتعزي بقضائه، وهذا منهج يعلم الصبر ويرفع إلى مقام الرضا، ويجعل القلب مستقرًّا لا تهزه عواصف المشكلات ولا تلعب به أمواج الهموم، فهو ثابت مؤمن: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. إنه منهج قرآني، يجعلك تتسلى

بالقدر ولا تركن إليه وتدفع القدر بالقدر، تسلط الأعداء يدفع بالجهاد، والمرض يدفع بالتداوي المشروع، وليس بالذهاب إلى السحرة والكهنة والمشعوذين، وهذا دليل على ضعف الناس. إن كثيرًا من الناس إذا ضجت به وضاقت به السبل يلجأ إلى البشر، إما أمواتًا وهذا من الشرك عياذًا بالله. ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

بل بعض الناس يذهب إلى الدجالين ليحول الأموال إلى أضعافها. أيها الأحبة، إن هؤلاء الدجالين أنا أقترح على ناس المباحث يقبضوهم لأنهم قاعدين ينازعوهم في شغلتهم، قاعدين يشتغلوا شغلة ناس المباحث، وهذا انتحال شخصية. يا إخوانا لماذا القلوب ضعيفة؟ والإيمان يهتز لأدنى مشكلة؟ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

فلذلك من القواعد المهمة التسلي بالقدر، ثم دفع القدر بالقدر. ثم من المهم في التعامل مع المشكلات ومواجهتها أن نتعامل مع المصائب من منطلق الشرع أنها ليست شرًّا محضًا، وأن فيها خيرًا، إن في المصائب خيرًا للناس: «فما من مرض ولا هم ولا نصب ولا وصب يصيب المسلم إلا كانت له كفارة وكتب له بها حسنة، حتى الشوكة يشاكها المؤمن». فلو أنه نظر إلى المشكلة من هذه القواعد ومن هذه الرؤية الصحيحة، الرؤية الإيمانية والقواعد اليقينية، أن المشكلة لك فيها نصيب من الأجر، فليس شرًّا محضًا. يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: «ولقد تأملت المصائب التي تقع بالناس فوجدت أن فيها مئة فائدة». ومن هذه الفوائد استخراج مكنون عبودية الدعاء، كثير من الناس لا يدعو الله ولا يلجأ إلى الله إلا إذا وقعت مصيبة. وفي الأثر المرفوع أن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال، يرفع الأثر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: المصيبة تصيب عبدًا مؤمنًا، تقول الملائكة: ثقلت عليه المصيبة، يقولون لله: هذا من المؤمنين، يقول الله: أحب أن أسمع صوته، أحبه أن يقول: يا رب، أريده العبودية.

ولذلك يقول العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى: إن من فوائد المصائب ظهور عز الربوبية وقهرها، وبيان ذل العبودية وكسرها. إن في المصائب لو لم يكن الإنسان بحاله الذي نراه بغير مصيبة ولا مشكلة لادعى أنه إله، بل بعضهم بعد ذلك يدعي أنه إله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾، ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾. إن كثيرًا من الناس المصائب تهده، تبدد طغيانه وتذهب كبرياءه فإذا به يتواضع. يصيب الأنبياء، يعقوب يفقد ولده، يبكي عليه

حتى يعمى، ولده يلقى في البئر، يدخل السجن، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾. لولا الربوبية لما أجرى المصائب حتى على أوليائه وأنبيائه، هذا يعني أن هنالك ربًّا قاهرًا وإلهًا مهيمنًا وربًّا قديرًا عظيمًا، لا يتعامل بالعواطف، له الكمال المطلق والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة والقوة والغنى المطلق، والجلال والكمال سبحانه وتعالى.

وكذلك عند المصائب ينكسر الإنسان. دعاء المريض مستجاب لأنه يدعو بقلب منكسر، دعاء المظلوم مستجاب لأنه يدعو بقلب منكسر، دعاء المسافر مستجاب لأنه يدعو بقلب منكسر، فارق الأهل، طرفه باكٍ وقلبه منكسر، إذا دعا دعاؤه مستجاب. دعاء الوالد لولده مستجاب لأنه دعاء منكسر. إن الأدعية المنكسرة استخراج مكنون عبودية الدعاء. فينبغي ألا تتعامل مع المصائب باعتبارها شرًّا محضًا، تعامل أن فيها خيرًا: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

من القواعد المهمة جدًّا في التعامل مع المصائب أن ترى أن المصائب من نفسك، وهذا منهج قرآني سديد: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾، ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾. المؤمن تواضعًا لله يقول: المصيبة التي وقعت بي بسبب تقصيري، بسبب خلل ما في حياتي، يحاول أن يصلح الذي بينه وبين الله، فإذا وقعت عليه مصيبة مرض في بدنه راجع نفسه، قال: لعلي انحرفت، لعلي فسدت، لعلي خرجت عن الجادة، لعلي فارقت الصراط، يبدأ يراجع نفسه، وهذا منهج مهم. يقول العلامة ابن القيم: «إذا وقعت المصيبة على العبد وصبر أوتي أجره، فإذا أرجع الأمر إلى نفسه استأنف عبادة شريفة ومنزلة جديدة ومقامًا إيمانيًّا ربما كان أكثر أجرًا من أجر المصيبة نفسها، لأنه ولدت المصيبة مقامًا شريفًا وعبودية جليلة، وهي عبودية الانكسار والافتقار والذل والتسليم وإرجاع الأمر إلى الله سبحانه». هذا مقام من المقامات الرفيعة التي تحتاج منا إلى وقفة.

أسأل الله تعالى أن يرد الجميع إليه ردًّا جميلًا، وأن يحبب إلينا الإيمان وأن يزينه في قلوبنا، وأن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وأن يجعلنا وإياكم من الراشدين، وصلِّ اللهم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام في حديث الطبراني: «أنين المريض تسبيح وحنينه تهليل». إن التأوه الذي يصدر من مريض تأوه عاجز، منكسر، متعلق بالله، انقطعت كل الحيل، وأيقن بضعفه وبعبوديته وبذله وانكساره وافتقاره. لذلك قال عليه الصلاة والسلام، وهذه بشرى عظيمة: «أنين المريض تسبيح وحنينه تهليل»، أي يقوم مقام إعظام الله والتسبيح لله، لأنه كأنه يقول: يا ربي انظر إليّ بعين الرضا، فإن الطبيب لا ينفعني، وإن الدواء لا يداويني ولا يشفيني.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وأحيانًا تنزل بنا المصائب، فألجأ إلى الله وأدعوه بإخلاص، فيفتح الله عليّ من باب حلاوة مناجاته ولذة اللجوء إليه ما أنسى معه مصيبتي، بل أخشى أن يجيبني الله فتنكشف مصيبتي ويذهب ما وجدته في قلبي من الانكسار والإقبال على الله. إنه شيء عجيب أيها الأحبة، يحتاج إلى من جربه. كان أنس رضي الله عنه يقول: كنا نسأل الله كل شيء، حتى عقال البعير والملح، وإذا قطع شسع نعل أحدنا سألنا الله أن يصلحه. يا الله ويا مولانا أعني على إصلاح شسع نعلي، سبحان الله. هم لا يريدون قضاء حاجتهم بقدر ما يريدون تحقيق العبودية لله سبحانه. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾. قال عليه الصلاة والسلام في شسع النعل: «فإنه إذا لم ييسره الله لا يتيسر»، كل شيء بتيسير الله. اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

أين هذا اليقين؟ إن الإيمان عند أدنى مصيبة يضمحل ويتلاشى، يصبح الإنسان فقد ذاته وشخصيته الفذة. إن من أعلى مقامات الإيمان في التعامل مع المصائب أن تعلم أن اختيار الله لك أفضل من اختيارك لنفسك. أن تعلم أن اختيار الله لك أفضل من اختيارك لنفسك. أتى رجل شاب إلى سفيان الثوري، قال له: يا سفيان، سألت الله كثيرًا ولم يجبني. قال: ما سألت ربك؟ قال: سألته حانوتًا. قال: منعك ربك عطاءه لطفًا لا بخلًا، لطفًا بك، لأنه قد لا ينفعك في المستقبل. ولذلك قبل أن تخطو أي خطوة لحل مشكلة أو لاستئناف حياة، قبل أن تستشير الخلق استشر خالقك الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم الغيب وما هو كائن وما سيكون، فإن كان فيه شر وصدقت الله سيصرف عنك السوء.

مرة أتيت منبرًا من المنابر كنت أصلي بالناس، فلقيني شاب وأنا على المنبر، قال: يا شيخ، أنا عندي مشكلة كبيرة، والله يا شيخ أنا تعبان وما قادر. أنا في السنة الأخيرة من الجامعة، فجأة بنت الجيران كانت معانا طوالي، فجأة نظرت إليها نظرة فتمكنت في قلبي فأصبحت لا أعي ولا أفهم شيئًا. قال لي: والله يا شيخنا

أفتح الكتاب بتاع الدراسة، ما بشوف الأشياء الموجودة في الكتاب. قلت له: يا أخي، أنت اتزوجها، اتقدم لها. قال: خلاص، الأسبوع الجاي. قلت له: استخير. قال لي: خلاص. الشاب استخار وتقدم. لقيته واقف جنب الباب بتاع المنبر الجمعة التانية وأنا جاي على المنبر، لقيته حزين وكئيب منكسر. قلت له: مالك؟ قال لي: يا أخي، الاستخارة ربنا ما قبلها. قلت له: والله قبلها، قبلها. أنت في الاستخارة مش قلت: اللهم إن علمته شر لي في ديني ودنياي وعاجل أمري فاصرفه عني؟ يتخيل الاستخارة أن يتحقق ما يريد هو؟ لا، ليست هذه الاستخارة. الاستخارة تفويض: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ...﴾. فوضت أمرك إلى الله، اقبل بالنتيجة حتى ولو كانت خلاف هواك وخلاف ما تريد في نفسك، وارض بذلك وسلِّم.

أتى محمد بن فتح الموصلي أبو الفتح داره وكان صائمًا فلم يجد شيئًا يفطر عليه، ثم أراد أن يقرأ شيئًا يتسلى به من القرآن والتفسير، فدعا المرأة بالمصباح، قال لها: جيبي الفانوس، فإذا بالفانوس لا يعمل. بكى، فقالت زوجته: أنت رجل تقرأ القرآن وتعلم العلم، ما يبكيك؟ قال: بكيت فرحًا أن حالي التي عليها تشبه حال أولياء الله وأحبائه من أصفيائه ورسله وأنبيائه، فهل أنا منهم حتى أفرح؟ ثم جعل يقول: المنع منه عطية مقبولة، والفقر إكرام وبر عاجل. المنع من الله ليس منعًا، المنع من الله عطاء، والفقر من الله إذا أفقرك هو إكرام وبر عاجل. تأمل إلى هذه اللطائف والمعاني التي تخرج الإنسان من مستنقعات المشاكل فتجعله يسمو عليها: المنع منه عطية مقبولة، والفقر إكرام وبر عاجل. عش بهذا الشعار، والله لن تبالي، ولن يدخل فؤادك أسى، ستعيش مطمئنًّا، تتعامل وتتقلب في عبوديات: إما شكرًا وإما صبرًا ورضا، وهكذا حتى تلقى الله.

أسأل الله تعالى أن يرد الجميع إليه ردًّا جميلًا. اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وبصفاتك العلى ألا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا دينًا إلا قضيته، ولا مبتلى إلا عافيته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا غائبًا إلا رددته، ولا حاجة من حوائج الدنيا لك فيها رضا ولنا فيها صلاح إلا أعنتنا عليها يا رب العالمين برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم اجعل اجتماعنا هذا اجتماعًا مرحومًا، وتفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا، ولا تجعل فينا ولا من بيننا شقيًّا ولا محرومًا ولا مطرودًا من رحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك وأبناء إمائك، نواصينا الخاطئة الكاذبة بيدك. اللهم لا تعاملنا بما نحن أهله، عاملنا بما أنت أهله، أنت أهل التقوى وأهل المغفرة. اللهم فرج كربات المكروبين، اللهم اقض الدين عن المدينين يا رب العالمين، اللهم فك أسر المأسورين، اللهم فك أسر المأسورين يا رب العالمين، وضمد جراح المكلومين من الأمهات والأرامل والنساء في كل أنحاء العالم وفي فلسطين يا أرحم الراحمين من أبناء المسلمين. وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

## للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/عندي-مشكلة-أريد-حلها/

## تابع الحسابات الرسمية للشيخ

**فيسبوك**
MohammedSayedHaj

**يوتيوب**
@msayedhaj

**تيليجرام**
@msahaj

**قناة واتساب**
قناة الشيخ

**إكس**
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com